مسار اليسار الفلسطيني من الماركسية الى البيريسترويكا

عوض خليل

ينطوي هذا البحث على قدر من المجازفة، ذلك ان احد المكوّنات الاساسية للدراسة وهو «البيريسترويكا»، لا يزال حديثاً نسبياً، ولا يزال تفاعل اليسار الفلسطيني معه، او تفاعله مع اليسار، جارياً ولم ينته، وهو يثير جدلاً واختلافاً واسعين، ويحمل في طياته احتمالات متعددة. ويزيد في صعوبة الامر ان البيريسترويكا ذاتها، وفي موطنها الاصلي (الاتحاد السوفياتي)، ما زالت موضع رهان كبير، ولا يمكن استبعاد الفشل كاحتمال ماثل على طريقها، على الرغم من انها حفرت مجراها بقوة، الى درجة يبدو فيها النجاح هو الاحتمال الاقوى.

تبدأ هذه الدراسة، التي تشكّل البيريسترويكا، وتفاعلاتها داخل اليسار الفلسطيني، مادتها الاخيرة، من نقطة تحوّل بعض القوى القومية الفلسطينية، ممّن كان ينتمي الى حركة القوميين العرب، خلال السنوات ١٩٦٧ ـ ١٩٧٠، الى الماركسية. فقد كانت هزيمة حزيران (يونيو) ١٩٦٧، بكل آثارها الفكرية، والسياسية، هي الحدث الابرز الذي أدّى الى مثل هذا التحوّل، فيما كانت امتدادات عصبة التحرر الوطني من الشيوعيين الفلسطينيين غائبة عن مواكبة هذا التطوّر، بفعل غيابها من على مسرح الاحداث الفلسطينية، أو ضعف مشاركتها فيه.

لقد انطبع فكر اليسار الفلسطيني، المتّجه صوب الماركسية، خلال سنواته الاولى، بخصائص مميّزة على المستويين، الايديولوجي والسياسي، كان أهمّ ما فيها ان تميّزت بالتطرّف الايديولوجي، والسياسي، والابتعاد الواضح من الماركسية السوفياتية.

بعد ذلك تتابعت ظاهرة انتشار القوى الماركسية (١٩٧٠ ـ ١٩٨٢)، حيث شملت عملية التأثّر بالماركسية معظم القوى والمنظمات الفلسطينية، ونشأت تنظيمات فلسطينية عدّة على أساس تبنّي الفكر الماركسي؛ كما برز دور الشيوعيين الفلسطينيين في محاولاتهم تأسيس حزب شيوعي فلسطيني. وهنا سنتطرق، أيضاً، الى عملية انتقال اليسار الفلسطيني الى مواقع الماركسية السوفياتية، وهي العملية التي أخذت تشقّ طريقها منذ أواسط السبعينات، وبلغت ذروتها عشية البيريسترويكا؛ ثمّ نتوقف عند البيريسترويكا وتفاعلاتها داخل اليسار الفلسطيني، وتحديداً داخل الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين، والجبهة الديمقراطية لتحرير فلسطين، والحزب الشيوعي الفلسطيني.

الطريق الى الماركسية، ١٩٦٧ ـ ١٩٧٠

حتى العام ١٩٦٧، لم يكن الفكر الماركسي قد حقق ذلك القدر من التغلغل في أوساط